منهج علماء الإسلام في توثيق علم التاريخ

الباحث. بن عباس لخضر د. بلخثير بومدين

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية/ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان/ الجزائر

Method of Islamic scholars in documenting the science of history

Dr. Belkhatir Boumediene Researcher. Benabbas.Lakhdar

Faculty of Social Sciences and Humanities\ University of Abu Bakr Belqayd Tlemcen\ Algeria

lakhdarbenabbas76@gmail.com

Abstract

The scholars of islam have given the science of history a great heritage that has not been goined before.

In deed, they were know by their original process that has not been affected other civilisations along the history documentation, starting from a word to the historic narratings criticism and their exegeses. Thus, this study has been escablished to discover the process of the scholars of islam in the documentary of the science of history.

Key words: History, The process, The scholars of islam, Criticism, Along, Ibn khaldoun

الملخص:

اهتم علماء الإسلام بعلم التاريخ اهتماما بالغا مِّمَّا أكسب حضارة الإسلام تراثا عظيما، لم تكسبه أمّة قبلها، وكان لهم منهج أصيل لم يتأثّر بروافد الحضارات الأخرى في توثيق التاريخ بدءاً من الكلمة إلى نقد الرِّوايات التاريخية وتفسيرها، فجاءت هذه الدِّراسة تكشف منهج علماء الإسلام في توثيق علم التاريخ.

كلمات مفتاحية: التاريخ، منهج، علماء الإسلام، نقد، توثيق، ابن خلدون.

المقدمة:

إنّ تاريخ المعرفة الإنسانية هو تاريخ الجهد الذي يبذله البشر من أجل إدراك وعي خبراتهم الناتجة من علاقتهم بالطبيعة ومن بعضهم البعض من أجل تطوير حياتهم تطويرا يسمح بتنظيم اجتماعهم واقتصادهم وحل المسائل والألغاز التي تحيط بهم وتواجههم في كل حين، و مجموع هذه المعارف والخبرات هي التي تؤلف مضمون الحضارات الإنسانية في مساراتها العامة والخاصة، ولقد كان للعرب والمسلمين سمة بارزة في إثراء التاريخ الإنساني، ولقد كان جهد علماء الإسلام بارزا في توثيق هذا التاريخ بشكله العام، أو بما اختُصَّ به تراثهم الإسلامي وامتاز هذا الجهد بمنهج أصيل لا تأثر فيه بروافد الحضارات الأخرى في تمحيص وتوثيق الروايات التاريخية.

وبالنظر لاستقراء تاريخ المسلمين من خلال جهود علماء المسلمين في تدوين التاريخ بشكله العام والخاص وبحوث الباحثين في هذا التراث العظيم، يبرز منهجان أساسيان اعتمدهما علماء الإسلام في توثيق علم التاريخ:

1. منهج الجرح والتعديل في الإسناد.
2. منهج البرهان العقلي والتجريبي استنادا إلى طبيعة الأشياء وإمكان حدوثها.

دلالة كلمة تاريخ اللفظية:

لم ترد لفظة تاريخ في القرءان ولا في السنة، ولم يعرف أنّها وردت في الشعر الجاهلي وعلى الرغم من تناول العلماء والباحثين قديما وحديثا أمر هذا المصطلح بالتفسير والكشف عن اشتقاقه ومدلوله فإنهم اختلفوا اختلافا كثيرا في تعيين أصل هذه الكلمة: فمنهم من قال: هو عربي مشتق من "الأَرَخْ" وهو ولد البقرة، فقيل: "إن التاريخ مأخوذ منه كأنه شيء حدث كما يحدث الولد[1].

[1] الأزهري، تهذيب اللغة، مادة أرّخ، (7 /543 -545)، ت: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، مصر.

وقال ابن دريد[1]: "وَرَّخْتُ الكتاب وأَرَّخْتُهُ ومتى وُرِّخَ الكتاب وأَرَّخَ، أي متى كُتِبَ، ذكر عن يونس وأبي مالك أنهما سمعا ذلك من العرب[2].

ومنهم من احتج بعربيتها كذلك بقول نسب إلى الأصمعي أن بني تميم يقولون: وَرَّخْتُ الكتاب توْرِيخًا، وقيس تقول: أَرَّخْتُهُ تأْرِيخاً[3].

ومنهم من قال: بأن معناه من التأخير، وقيل هو إثبات الشيء.[4]

ومنهم من قال بأنه معرب من اللفظ الفارسي "ماهروز" أي حساب الشهور فعربوه فقالوا: مُوَرَّخٌ، وجعلوا مصدره التأريخ.[5]

ومنهم من قال بأن أصل كلمة تأريخ هو الأصل السامي العام لكلمة "وَرَّخَ" التي تمثل على سبيل المثال "يارْيَح" العبرية التي معناها القمر و"ذرح".[6]

ومنهم من قال بأن "أصل كلمة لفظ التاريخ العربي مشتق من كلمة (arch) الذي ينطق في اليونانية (أَرْخْ) ومعناه القديم أو القِدَمْ"[7].

ومنهم من قال أن هذه الكلمة أتت من العرب الجنوبية (اليمن) وأصلها تَوْرِيخْ، وتحولت في اللهجة العربية الشمالية إلى تاريخ[8].

فترتكز الأقوال السابقة على المحاور الآتية:

1. القول بعربية لفظة التاريخ[9].
2. القول بعجمة أصلها ثم عربت.
3. القول بأصلها السامي واشتقت منه هذه الكلمة.
4. القول بأصلها اليوناني.
5. القول بأصلها العربي اليمني الجنوبي ثم تسربت إلى العربية الشمالية

نقد الأقوال[10]:

أما كون أصلها عربية شمالية فهو قول لم تنهض به حجة قوية ذلك بأن هذه الكلمة بمعنى التوقيت لم تعرفها العربية الشمالية العدنانية حتى أواسط العقد الثاني من الهجرة بعد أمر عمر رضي الله عنه بالتأريخ الهجري، فهي لم ترد في شعر شاعر فضلا عن القرءان والسنة، وعدم ورود هذه الكلمة مطلقا يدل على انعدام أصلها من هذا اللسان جذرا واشتقاقا، قال ابن فارس[11]: "أَرَّخَ كلمة واحدة عربية وهي الإيراخ لبقر الوحش....وأما تأريخ الكتاب فقد سُمع، وليس عربياً، ولا يسمع من فصيح"[12]

أما ما نسب للأصمعي أن بني تميم يقولون وَرَّخْتُ الكتاب توريخا، وقيس تقول أَرَّخْتُهُ تأريخا فهو ليس بصحيح لأن أول من نسب هذا القول للأصمعي هو بدر الدين العيني[13] في كتابه" عمدة القاري شرح صحيح البخاري"[1].ثم تبعه تلميذه السخاوي في "الإعلان

---

[1] هو: أبو بكر محمد ابن الحسين ابن دريد، ولد بالبصرة سنة 223ه، تأدب بها وقرأ على علمائها توفي سنة321ه، انظر تهذيب اللغة: (1/ 31).

2 ابن دريد، جمهرة اللغة، ت: رمزي بعلبكي، مادة ورّخ، دار العلم للملايين، ط1، 1987، (594/3).

[3] السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ت: فرانز روزنتال ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، ص17.

[4] الصولي أدب الكتاب، ت: أحمد بهجة الأثري، المكتبة العربية بغداد، ص178.

[5] الخوارزمي مفاتيح العلوم، ت: فان فلوتن، مطبعة بريل ليدن، 1895، ص79، حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1961، ص68.

[6] بلنسر، مادة التاريخ، دائرة المعارف الإسلامية، تعريب لجنة ترجمة المعارف الإسلامية، إبراهيم حيدر رشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص27.

[7] حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دار المعارف القاهرة، ص7.

[8] وجيه كوثري، تاريخ التأريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط3، 2015، ص30.

[9] حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، ص27.

[10] أحمد خليل الشال، أثر الوضع في رواية وتفسير التاريخ نماذج من الخلافة الراشدة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بور سعيد، ط1، 1436ه-2016م، ص26-40.

[11] هو أبو الحسن أحمد ابن فارس ابن زكرياء ابن محمد ابن حبيب الرازي اللغوي، أحد أئمة الأدب المرجوع إليهم في بلاد الجبل، متقن حادق، أنظر: عبد الكريم القزويني في أخبار قزوين، ت: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية 1408هـ-1987م، (210/2).

[12] أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، مادة أرّخ (94/1).

[13] هو بدر الدين أبو محمد محمود ابن أحمد ابن موسى الحلبي الأصل، العيناني (بلدة بالقرب من حلب) المولد والمنشأ، ثم القاهري الدار والوفاة، من أشهر تصانيفه عمدة القاري شرح صحيح البخاري توفي سنة 855ه، انظر: السخاوي، الضوء اللامع، دار الجيل، بيروت، 1412 ه– 1992م، (131/10).

"الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"[2]، و عن الأخير استفاض هذا الخبر منسوبا للأصمعي واشتهر إلى وقتنا هذا، و الذي يفيد ضعف هذه الرواية ما قاله طاهر بن صالح الجزائري ت: "1338هـ" يُمَرِّضْ هذا القول بقوله: "ومن الغريب أن بعض الناقلين ذكر أن الأصمعي قال: بنو تميم يقولون وَّرخت الكتاب توريخا، و قيس تقول أَرَّخته تأريخا"[3]، فإن العرب الشماليين حين استعاروا هذه الكلمة من غيرهم لم يستعروا معنىً، بل استعاروا حروف كلمة علموا دلالتها تمام العلم ولكن ثقافتهم لم تكن في حاجة إليها قبل هذا كتعبير فني أو اصطلاحي واستُعيرَتْ لظروف خاصة غلبت عليهم آنذاك.

أما القول بعجمة هذه الكلمة وأنها معربة، فهذا أيضا قول لا يصح وممن رده شهاب الدين الخِفاجي ت: "1069هـ"بقوله "وقيل هو معرب مَاه رُوزْ، وقع تعريبه في عهد عمر كما في "نهاية الإدراك"، وهو تعريب غريب"[4]، و يؤكد الشيخ أحمد شاكر هذا النفي بقوله: "وهو كما قال"[5]وقال الحسين نصار "وعزاه بعضهم الآخر إلى الفارسية فقال: إن أصله ماهروز بمعنى يوم الشهر فعربوها فقالوا مورخ، و جعلوا المصدر منها التاريخ وهو اشتقاق بعيد لا يظهر فيه تقارب بين اللفظين العربي والفارسي"[6].

أما أن يكون هذا الأصل من كلمة arch اليونانية بمعنى القديم فهذا قول مردود تفرد به صاحبه[7]، وبين أرخ عند العرب بمعنى التاريخ، وإن تشابه النطق لأن كلمة arch اليونانية التي بمعنى القديم لا تحمل معنى التاريخ عند العرب لا أصلا ولا اشتقاقا ولا محاكاة.

فلم يبقى إلا كونها عربية يمنية جنوبية، فلقد تواتر أصل هذه الكلمة بحروفها " ورّخ" قديما في لسان عرب الجنوب تواترا يتعذر حصره محتويا لمعنى القمر أو بالأحرى الهلال على بدء الشهر القمري عند بزوغ هلاله في أول ليلة منه يقول ستون: "نواجه في نصين لفظة (شهر) وتعني حرفيا هلال الشهر، و إذا أخذنا هذه الكلمة شأنها كشأن كلمة "ورّخ" نفسها هي آخِر ما تبقى من أصل بائد فقدت معناها الحرفي وصارت مجرد اليوم الأول من شهر التقويم".[8]

ولقد تولد من عَدِّ هذه الأهلة شهورا، ومن عَدِّ الشهور سنين، ظاهرة التوريخ في لسان عرب الجنوب التي يقابلها كلمة العد في لسان عرب الشمال فهو يخالفها في اللفظ ويوافقها في المعنى، أما اللفظ فهذا ما دلّ عليه استقراء لسان عرب الشمال ففي القرآن قوله تعالى" وَهُوَ الذِي جَعَلَ الشَّمسَ ضِيَاءً والقَمَرَ نُورًا وقَدَرَّه مَنَازِلَ لِتَعلَمُوا عَدَدَ السِنِينَ والحِسابَ"[يونس 5]، و قال تعالى "و اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَّ المحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ اِرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ واللَّائِي لَمْ يَحِضْنْ" [الطلاق 4].

وأوضَحُ شيء في هذا الباب من صحيح السنة، الباب الذي عقده البخاري في صحيحه بعنوان "باب التاريخ من أين أرخو" ثم روى تحته خبرا صحيحا عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "ما عدُّوا من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته، ما عدُّوا إلا من مَقْدَمِهِ"[9]فتأمل مقابلة البخاري بين لفظ الحديث "عدُّوا" وبين لفظ الترجمة "أَرَّخوا" مما يعني تأكيد أن معنى كلمة تأريخ الهلال دلالة على بدء الشهر القمري عند بزوغ هلاله.

ومن الشعر قول أمية بن أبي الصَلْتِ:

و الشهر بين هلاله ومحاقه أجل لعلم الناس كيـــــف يعدَدُ

لا نقص فيه غير أن خبيـــئه قمر وساهور يُسَـــــلُّ ويُغْمَدُ[10]

---

[1]بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تصحيح عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، 1421 ه- 2001م، (87/17).
[2]السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص17.
[3]طاهر ابن صالح الجزائري، توصيل النظر إلى أصول الأثر، ت: رمزي منير بلعبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1987، (288/1).
[4]شهاب الدين الخيفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، المطبعة الميرية، ص59.
[5]الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب، ص137، من الحاشية رقم: 8.
[6]حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، ص175، نشأة التدوين التاريخي عند العرب منشورات إقرأ، بيروت، ط 1980، ص6.
[7]حسين مؤنس، تاريخ والمؤرخون، ص7.
[8]ألفرادبيستون، تقويم في النقوش العربية الجنوبية، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط2009، ص20.
[9]محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب التّاريخ من أين أرّخوا التّاريخ، الحديث رقم: 3666، دار الشعب، القاهرة، ط 1378ه،
[10]صدر الدين علي البصري، الحماسة البصرية، ت: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ط 1420-1999، (4 /1617).

والروايات في الصدر الأول وتحديدا حتى أواخر القرن الثاني الهجري أن أهل الحجاز لا يكادون يلفِظُون لفظة التاريخ هذه الفترة بل اشتهر على ألسنتهم جميعا عبارة "من مَقْدَمِ النبي صلى الله عليه وسلم" أو "من الهجرة أو مُهَاجَرِهِ" حتى بدأت تتفشى منذ أواسط القرن الثاني الهجري في تصانيف أهل العراق والشام ومصر عبارة "من التاريخ"[1].

دلالة كلمة التاريخ الاصطلاحية عند علماء الإسلام

نحن الآن أمام معنىً واحد لكلمة التاريخ ؛وهو تقييد الحوادث بالعد أو بالتاريخ، و هذا المعنى لهذا اللفظ هو ما علمه علماء الإسلام الأَوَائل من هذه الكلمة وأكدته تصانيفهم حين جعلوه علما له أصوله وضوابطه.

1. **تعريف ابن خلدون:** جاء في كتابه المقدمة: "فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، إذ هو في ظاهره على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول...، وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها"[2]
2. **تعريف الكافيجي:** (788–879هـ) جاء (في كتابه المختصر في علم التاريخ): "التاريخ في اللغة: تعريف الوقت، (وفي العرف والاصطلاح): هو تعيين وقت ينسب إليه زمان مطلق سواء كان قد مضى أو كان حاضراً أو سيأتي، و قيل التاريخ تعريف الوقت بإشارة إلى أول حدوث أمرٍ شائع كظهور ملة أو وقوع حادثة هائلة من طوفان أو زلزلة عظيمة ونحوها من الآيات السماوية والعلامات الأرضية"[3]ويعرف الكافيجي التاريخ باعتباره علما فيقول: "وأمّا علم التاريخ فهو يُبْحَثُ فيه الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك الوقت وتوقيته "[4]
3. **تعريف السخاوي:** (902هـ): "... وفي الاصطلاح –أي تعريف التاريخ اصطلاحيا–التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم...، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة وتجديد فرض وخليفة...، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من الأمور الماضية وأحوال القيامة"[5] ويقول في موضع آخر: "فن يبحث فيه وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت...، و أما موضوعه: فالإنسان والزمان، ومسائله: أحولهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان[6].
4. **تعريف ابن فهد**[7]: (ت885هـ): "علم التاريخ لا شك في جلالة قدره وعظم موقعه، ينتفع به للاطلاع على حوادث الزمان وسير الناس وما أبقى الدهر من أخبارهم بعد أن أبادهم، مع أنه عبرة لمن اعتبر وتنبيه لمن افتكر واختبار خال من مضى وغبر..."[8]
5. وتتمثل أهمية التاريخ عند السيوطي (ت910هـ) في معرفة الأجيال وحلولها وانقضاء الأجل ووفيات الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم فيعرف بذلك كذب الكاذبين وصدق الصادقين.[9]

نخلص مما سبق من تعاريف علماء الإسلام لعلم التاريخ الفرق بين مفهوم التاريخ من جهة وبين فنون أخرى مستقلة عنه –حتى وإن حوى التاريخ – بعضها منذالقرن الرابع الهجري كفن الأخبار أو القصص أو الأنساب أو أي شيء من أنماط الرواية عند المسلمين.

---

[1] وهو من الكتب المفقودة ولكن رآه ابن عساكر وميزه عن الطبقات، ونقل فيه من الواقدي (ت207) في آخر عمره بعد أن سكن العراق دهرا حين صنف كتابه الذي حمل اسم (التاريخ)، ينظر: أحمد خليل الشال، أثر الوضع في رواية وتفسير التاريخ نماذج من الخلافة الراشدة، ص33، الحاشية: 6.

[2] ابن خلدون، المقدمة، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، دار الأرقم ابن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص35، 36.

[3] الكافيجي المختصر في علم التاريخ، ت: محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1410ه-1990م، ص19.

[4] نفس المصدر، ص19.

[5] السخاوي الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص18.

[6] نفس المصدر، ص19.

[7] هو عمر ابن محمد ابن محمد ابن أبي الخير محمد ابن عبد الله ابن فهد القريشي الهاشمي المكي نجم الدين، مؤرخ ولد سنة 812ه رحل إلى مصر والشام وغيرهما، توفي بمكة سنة 885ه انظر: محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (1 /512).

[8] عمر ابن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، ت: فهيم بن محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط1، 1403ه، (4/1).

[9] السيوطي، الشماريخ في علم التاريخ، ت: عبد المجيد الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1421ه، ص17.

(...وفي المقابل لم يعرف الأروبيون علم التاريخ الذي هو تقييد الحوادث والوفيات على السنين حتى بداية عصر النهضة الأروبية وإنما كان مبلغهم من العلم في هذا الباب هو ذلك العلم الذي يختص بمعنى الحدث وما يحويه من خبر عن شيء مضى أو قصة حدثت فترصد عن طريقه آثار ظاهرة من الظواهر الإنسانية، و عرف عندهم بالاسم المشتق من الإغريقية ذي الأصل العربي istoria "أسطورة"، الذي لا يزال كما هو في اليونانية الحديثة بحروفه عَلَمًا على فن هو في الحقيقة ليس من التاريخ(date) أو (chronicle) هذا الأصل الذي تشتق منه اسم هذا العَلَمْ في جل اللغات الأوربية بعد ذلك للدلالة على معنى الحدث الماضي فهو في اللاتنية والإنجليزية (history) وفي الفرنسية (histoire) وفي الإسبانية (historia) وفي الإيطالية (storia)وفي الروسية(istoria) ومما يدل على أن هذا هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمة أنها حين ترجمت إلى بعض اللغات الأروبية حملت هذا المعنى نفسه وهو الحدث الذي مضى كالألمانية التي حمل هذا العلم فيها اسم (geschichter))[1].

ارتباط علم الحديث بعلم التاريخ

ارتبط علم التاريخ عند المسلين بعلم الحديث ارتباطا وثيقا، لِتَعلُّق علم الحديث بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلم التاريخ عندهم هو على سرد الأخبار المتعلقة به صلى الله عليه وسلم والإخبار عن أقواله وأفعاله وأيَّامِه وغزواته ومن الطبيعي أن يكون المشتغلون بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أكثر تحريا للدقة وأكثر تشددا في إقرار النصوص لارتباطها بالوحيين كتابا وسنة، و كان مضمون كلا العِلمين (الحديث والتاريخ) يتناقل في البداية شفاهة ثم جاء عصر التدوين فدُوِّنَ الحديث وتزامن معه تدوين التاريخ الإسلامي بدءا من تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمغازي وكان للتاريخ الإسلامي منهج كِتَابَة يعطي مدلولين[2]:

المدلول الأول: المبادئ والأسس التي يضعها الإسلام لتكون حدودا تحكم دراسة التاريخ الإسلامي، فهذه نحتاجها عند تفسير الواقعة التاريخية وتحليلها والحكم عليها.

المدلول الثاني: هو القواعد والطرق التي تُتَّبَع في إثبات الحقائق والوقائع التاريخية فهذه نحتاجها في إثبات صحة واقعة تاريخية معينة أو نفيها، ومعلوم أننا نثبت الواقعة ثم بعد ذلك نفسرها، فمرحلة الإثبات سابقة على مرحلة تفسير الحدث وتعليله.

مصادر طرق إثبات الحقائق التاريخية

لقد اعتنى علماء السنة بوضع قواعد وضوابط يعرفون بها صحة المرويات واتبعوا منهجا دقيقا في نقدها، لذلك أفاد المؤرخون المسلمون الأوائل بمصادر مهمة في هذا الشأن ككتب مصطلح الحديث أو (أصول علم الحديث)، وأُسُسُ هذا العلم موجودة في الكتاب العزيز في مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]، وفي السنة المطهرة في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ منا شيئا فبَلَّغه كما سَمِع فرُبَ مُبَلَّغٍ أوعى من سَامِعٍ".[3]

وكان الخلفاء الراشدون أولَ من سن للمحدثين التَثَبُّتَ في الرواية واحتاطوا في قبول الأخبار: "فقد جاءت الجدة إلى أبي بكر تلتمس أن تُوَرَّثْ فقال ما أجد لك في كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة: حضرت رسول الله يعطيها السدس فقال له هل معك أحد فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها "[4]

ومن هنا ظهر علم نقد الأخبار والسؤال عن الرجال والرُّواة، فَدُوِنَّتْ أخبارهم ورحلاتهم وسِنِيِّ وِلادَاتهم ووفياتهم وشيوخهم وتلاميذهم ليُعرفَ المتصل والمنقطع من الأسانيد وظهر علم الجرح والتعديل.

ويعرف علماء الحديث الجرح والتعديل في الإسناد بأنه: «علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة.

---

[1] أحمد خليل الشال، أثر الوضع في رواية وتفسير التاريخ نماذج من الخلافة الراشدة، ص40.

[2] محمدبن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 1429 هـ، ص98.

[3] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب العلم، رقم الحديث3415، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1996م.

[4] الذهبي تذكرة الحفاظ، ت: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، ط 1374، (3/1).

والجرح: يعني اصطلاحا: رَدُّ رواية الراوي لعلة قادحة فيه، أو في روايته من فسق أو تدليس أو كذب أو شذوذ ونحوها، وأمّا التعديل: فهو وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته، أي بما يتصف به الراوي الثقة من أوصاف الأمانة والصدق وملكة الحفظ والفهم... وعلى وجه الإجمال فإن الجرح والتعديل هما إظهار أحوال أهل العلم لمن كان منهم ثقة أو غير ثقة.[1]

وقد دَوَّنَ العلماء هذه القواعد وظهرت في كتب خُصِصَتْ لهذا الشأن مثل كتاب: (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي) للقاضي الحسين بن عبد الرحمان الرَّامَهْرَمَزِي المتوفى سنة: (360هـ) وكتاب: (معرفة علوم الحديث) للحاكم النيسبوري المتوفى سنة: (405هـ) وغيرها كثير.

فهذه الكتب تبين طرق نقد الأخبار وكيفية الموازنة والترجيح بينها عند التعارض، كما أن علماء الجرح والتعديل قد قاموا بجهد في هذا الميدان من أمثال علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل، والإمام البخاري وأبي حاتم الرازي وأبي زرعة حيث تكلموا في الرجال وفي نقد متون الأحاديث وبيان عللها ودونوا في ذلك مؤلفات خصصت لهذا الشأن.

فكتب البخاري ثلاثة كتب (التاريخ الكبير والأوسط والصغير)، ولابن معين كتاب اسمه (تاريخ بن معين) وغيرها من الكتب في علم الحديث ونقد الرجال وعلل الحديث كلها كتب معينة ولازمة للمؤرخ لنقد الروايات والترجيح بينها.

أما كتب التاريخ الإسلامي المتخصصة سواء كانت مصادر أولية مثل السيرة النبوية لابن إسحاق ومغازي الواقدي وفتوح البلدان للبلاذري، وفتوح الشام لابن إسماعيل الأَزْدِي، وتاريخ الأمم لابن جرير الطبري وغيرها كثير أو كانت مصادر ثانوية فإنها تحوي مادة ومعلومات تاريخية تحتاج إلى نقد وغربلة لمعرفة الصحيح من الزائف فهي مصادر في المعلومات التاريخية وليست مصادر في نقد الأخبار.

نتيجة: استفاد التدوين التاريخي العربي الإسلامي كثيرا من قواعد علم الحديث فكما تحرى عالم الحديث سلسلة الإسناد ومدى صِدقية الراوي في حفظ ونقل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعمل النقد (التعديل والتجريح) في الرواة ومروياتهم، فإن المؤرخين الأوائل حتى مطلع القرن الرابع للهجرة (العاشر ميلادي) طبقوا المنهج نفسه في الأخبار المتناقلة والمتداولة في مرحلة ما بعد الإسلام كما فعل هذا بامتياز المحدث والمؤرخ ابن جرير الطبري.

المدرسة الخلدونية واستقلال علم التاريخ:

يجمع أكثر الباحثين على أن ابن خلدون (القرن الرابع عشر ميلادي–الثامن الهجري 809هـ) كان أول من دعا إلى استقلال علم التاريخ عن العلوم الشرعية الإسلامية التي ارتبط بها ردحا من الزمن، فهو أول من ميز موضوع التاريخ وحقله عن موضوعات العلوم الإسلامية الشرعية، يقول ابن خلدون: (هذا العلم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماعي الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم كان وضعيا أو عقليا)[2]

ويُعَرِّفْ ابن خلدون موضوع العمران البشري أو الاجتماع الإنساني كموضوع لعلم التاريخ بأنه: (خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرضه لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها....)[3]

(والحقيقة أن اكتشاف ابن خلدون لعلم التاريخ كان حصيلة لجهود كبيرة تراكمت في تاريخ الكتابة التاريخية العربية التي استخدمت لأغراض مختلفة سياسية ودينية، ولجهود منهجية ضخمة في نقد الروايات والأخبار وضبط الأسانيد وصولا إلى المأزق الذي عانته هذه الكتابة التاريخية من جراء النقل المكرر واستخدام الإسناد بشكل ضعيف والركون إلى التصديق دون الالتفات إلى ما مدى مطابقة الخبر لواقعية الأشياء وإمكان حدوثها)[4]

[1] أبو لبابة حسين، الجرح والتعديل، دار اللواء، الرياض، ط 1974، ص20-22.
[2] ابن خلدون، المقدمة، ص69.
[3] نفس المصدر، ص66.
[4] وجيه كوثري، تاريخ التأريخ، ص97.

قوانين البحث التاريخي عند ابن خلدون

وضع ابن خلدون قوانين للبحث التاريخي[1] نذكر منها ما يلي:

1. **قانون السببية:** أدرك أن لكل حادث أسبابه التي أدت إلى وقوعه، وأنه يجب البحث عن هذه الأسباب عند إعادة تركيب أحداث الماضي للوصول إلى الحقيقة التاريخية ويجب على الباحث أن يَتَّبِعَ (قواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني)[2]، وعليه أن يقيس الحوادث بأشباهها وأن يُحْكِمَ النظر والبصيرة وأن يرجع كل شيء إلى أسبابه ولابد له من رد الأحداث إلى أصولها وأن يبحث عن أسبابها كي لا يقع فيما وقع فيه المؤرخون السابقون من الغلط في النقل وعدم التقدير كما وقع للمسعودي وكثير من المؤرخين في تقدير عدد جيوش بني إسرائيل بستمائة ألف أو يزيدون.[3]
2. **قانون التطور**: رأى أن المؤرخ لابد له أن يكون مدركا أن الأجيال تتعاقب والعادات تتغير وتتطور من جيل إلى جيل وكذا طبائع الأمم، و قد صاغ هذا القانون بقوله: (فمادمت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان ولا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة)[4]
3. **قانون المقارنة:** استعمل ابن خلدون هذا القانون عند نقده لرواية المؤرخين عن سبب نكبة البَرَامِكَة لاتخاذ حكاية العباسة أخت الرشيد وعلاقتها مع جعفر ابن يحيى بن خالد البرمكي منكرا هذه العلاقة ومنكرا أن تكون هذه سببا لهذه النكبة قائلا: (ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، وقاس العباس بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي سلطان قوتها....)[5]، واستنكره استنكارا شديدا، و رأى أن سبب النكبة يرجع إلى استبداد البرامكة وعلو شأنهم، واستحواذهم على أموال الدولة، وانشار عنصر التُرْكِ في كافة مرافق الدولة، مما أدى إلى العمل على إيقاع المكروه بهم.[6]

الخاتمة:

والنتيجة التي نَصل إليها أن ابن خلدون أول مفكر عربي فلسف التاريخ وأعمل المنطق والعقل في تحقيق الأحداث التاريخية وتوثيقها حيث أدرك أن علم التاريخ يتعدى النظرة العامة على أنه أخبار الأيام والدول إلى باطن الأحداث ليقف على حقيقتها ويكشف عن أسبابها والقوانين التي تحكمها.

- المنهج الأول الذي سلكه المسلمون في تدوين أخبار التاريخ وتوثيقها قام على قواعد الجرح والتعديل.
- ولما كان المحدثون هم أَوَّلُ من وضعوا أُسُسَ الجرح والتعديل للتدقيق في الأحاديث ومعرفة سقيمها وصحيحها فليس بدعا أن تكون أول الكتابات التاريخية الإسلامية قام عليها المحدثون، مثل عروة ابن الزبير ت: (94هـ) الذي ألف كتابا في المغازي لم يصل إلينا، ومحمد ابن مسلم ابن شهاب الزهري ت: (123هـ) أَلَّفَ كذلك كتابا في المغازي لم يصل إلينا هو الآخر.
- والمنهج المُمَيَّزْ الذي أبدعه علماء المسلمين في توثيق التاريخ هو المنهج التجريبي معتمدا على البرهان العقلي وطبائع العمران ورائده هو ابن خلدون، وكتابات الغربيين بعده عالةً عليه.
- ترك المسلمون تراثا ضخما من كتب التاريخ التي أسهمت بشكل كبير في تعريف الناس بالتاريخ البشري من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الحضارات وبخاصة الحضارة الإسلامية.

[1] د: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، علم التاريخ عند عبد الرحمان ابن خلدون، أعمال الملتقى، الدولي الثاني عن ابن خلدون، فرندة من 01 إلى 04 يوليو 1986، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ص89.

[2] ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1983، (1 /12).

[3] نفس المصدر، ص13.

[4] تاريخ العلامة ابن خلدون، ص.47

[5] نفس المصدر، ص23-24.

[6] نفس المصدر، ص24.

المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون، المقدمة دار الأرقم ابن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
2. ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 1983م.
3. ابن دريد، جمهرة اللغة، ت رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.
4. أبو لبابة حسين، الجرح والتعديل، دار اللواء، الرياض، ط 1974م.
5. أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، ت عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
6. أحمد خليل الشال، أثر الوضع في رواية وتفسير التاريخ نماذج من الخلافة الراشدة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بور سعيد، ط1، 1436هـ -2016م.
7. الأزهري، تهذيب اللغة، ت: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة.
8. ألفراد بيستون، تقويم في النقوش العربية الجنوبية، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط2009م.
9. بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تصحيح عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، ط 1421هـ- 2001م.
10. بلنسر، مادة التاريخ، دائرة المعارف الإسلامية، تعريب لجنة ترجمة المعارف الإسلامية، إبراهيم حيدر رشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
11. الترمذي، سنن الترمذي، كتاب العلم، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1996م.
12. الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب.
13. حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة.
14. حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب منشورات إقرأ، بيروت، ط 1980م.
15. حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية.
16. حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1961م.
17. الخوارزمي مفاتيح العلوم، ت فان فلوتن، طبعة باعتناء المستشرق فانفلوتن مطبعة بريل ليدن، ط1895م.
18. الذهبي تذكرة الحفاظ، ت: عبدالرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمان1374 هـ.
19. السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ت: فرانز روزنتال ترجمة صالح أحمد العِلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
20. السخاوي، الضوء اللامع، دار الجيل، بيروت، ط 1412 هـ- 1992م.
21. السيوطي، الشماريخ في علم التاريخ، ت: عبد المجيد الحلبي، دار المعرفة، بيروت ط4، 1421هـ.
22. شهاب الدين الخيفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، المطبعة الميرية.
23. صدر الدين علي البصري، الحماسة البصرية، ت: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ط 1420هـ-1999م.
24. الصولي أدب الكتاب، ت: أحمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد.
25. طاهر ابن صالح الجزائري، توصيل النظر إلى أصول الأثر، ت رمزي منير بلعبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1987م.
26. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، علم التاريخ عند عبد الرحمان ابن خلدون، مقال من أعمال الملتقى الدولي الثاني عن ابن خلدون، فرندة من 01 إلى 04 يوليو 1986، المركز الوطني للدراسات التاريخية.
27. عبد الكريم القزويني في أخبار قزوين، ت: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1408هـ-1987م.
28. عمر ابن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم بن محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط1، 1403هـ.

29. الكافيجي المختصر في علم التاريخ، ت: محمد كمال عزالدين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1410هـ-1990 م.
30. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الشعب، القاهرة 1378هـ.
31. محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 1429هـ.
32. محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
33. وجيه كوثري، تاريخ التأريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط3، 2015م.